

وتعرف يده الأخرى فوق الناي . أهتف : أرايتم ؟ حافظة نقودي .
 خذها ، افحصها أنت بنفسك – يتناولها الرجل ، يتمتم معتذرا ،
 يخرج منها الأوراق . أنظر في وجه العازف ، يطفو الجزع عليها والاشفاق .
 يفتح الرجل البطاقة . ينظر فيها ثم يصيح : هل صدقتم ؟ تتزاحم حول
 الأوجه . تمتد العين وتمتد الأنف . تهتف أصوات : أعجب موقف .
 لا اسم ولا عنوان . لا صورة . لا توقيع ولا اختتام . أحتج وأبكي ،
 وأدق بقدمي الأرض : هذا سخف سخف ! اني . . يتدخل الصبى
 الساحر . يسحب البطاقة بلطف : أنا أعرفه ، قد كلفني به . ويميل
 على رأس الرجل ويهمس . يتراجع للخلف وينصرف الناس . يتقدم
 مني الرجل ويحنى قامته ويهتف : لم لم تذكر هذا من قبل . هذا الفندق
 تحت الأمر : ماذا تطلب . ماذا يرضيك ؟ تفضل ! .

يسحبني الصبى من ذراعي بعد أن ينفخ في الناي نغمة بارعة
 ويضع يده تحت أبطي ويقول : سامحهم ، من لا يعرف يجهل . أنا منذ
 الآن رفيقك ، ودليلك ، خادمك وأكثر . ويخلص ذراعه ويمد كفيه .
 ترتعش أصابعه على الناي . أسأله ماهذا اللحن ؟ يتسهم ببراعة ويقول :
 الصعود الى الهاوية !

نتجول من رواق الى رواق ، نصعد درجات ونهبط درجات ، نترك
 زحمة لامعة لندخل ردهة ناصعة . الجدران يفيض منها الضوء كسطوح
 زجاج شفافة ، ووجوه الخدم تبتسم وتطرق الى الأرض كأنها تعتذر أو تخفي
 سرا . ندلف الى قاعة كبيرة نذكرني رائحتها الحادة بعنابر المستشفيات :
 نظيفة ، بيضاء ، ناعمة الأسرة والجدران ، ولكنها مخدرة كجسد أبيض
 ممدود على مائدة الجراح . أنظر فأرى سريرين في القاعة ، اسدلت بينهما
 ستارة سوداء – يعزف الصبى لحنا عابثا كصفير عصفور نرق ويشير الى
 السرير الأول ويقول : هذه أول سلمة ، أذهب الى هناك . انها تنتظرك .
 أهبط بعدها سلمة أخرى وستجد الأخرى تنتظرك ، أسأله : من تعني ؟
 يرمقني بطرف عينه : أنت الأدرى – راجع صفحات كتابك . يرن بأذني
 صوت نبهني في قاعة العرش : قدم كشف حسابك ! أطرق في صمت ،
 أسأله : ماذا تفعل أنت ؟ يتسهم ويعبث بالناي : ما أفعله دوما ، أسمعك
 اللحن ؟ أكرر السؤال وأنا أضع ذراعي على كتفه : أى لحن ؟ يرفع حاجبيه
 ويقول : كيف نسيت ؟ لحن سقوطك في الآبار ! يشير الى فاتقدم . يرتفع
 العزف ورائي . يرتفع أمامي يشبه خطوة طفل عارى القدمين . يتحول
 أثناء النوم ويبحث عن أبويه . .

ممددة على الفراش كحورية خرجت من الماء – الشعر الكستنائي
 منسدل حول رأسها بغير نظام . والوجه الناصع البياض ، المشوب ببقع